

المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع المعاصر

د/ نجاة يحيايوي

جامعة بسكرة

المخلص :

Abstract :

School is the most important social institutions that work to creating generations of knowledge and science to contribute to the development and progress of society, by the times the role of the school growing over time, and with the social changes and the acceleration of scientific, the school facing changes in it's role, the role of school took different dimensions which indicates that this role has become increasingly important and requires active participation of individuals and social institutions, so the school must not be in isolation from the society and to plan for its role to achieve the goals of the educational system.

There are many sources of knowledge and education, but the school always remains the education role , it should be ready for further development and change always.

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تهيئة الاجيال بالتربية والعلم ليساهموا في تنمية المجتمع وتقدمه، ولقد تعاظم دور المدرسة عبر الزمن، ومع التغيرات الاجتماعية والتسارع العلمي تواجه المدرسة تغيرات وتحديات في وظائفها، التي أخذت أبعادا مختلفة وهذا دليل على أن دور المدرسة يزداد أهمية ويتطلب مشاركة فعالة للأفراد والمؤسسات الاجتماعية، ويجب على المدرسة أن لا تكون بمعزل عن المجتمع وأن يتم التخطيط لوظائفها وصول إلى الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها النظام التربوي.

يوجد العديد من مصادر التعليم والمعرفة ولكن تبقى المدرسة تمارس دورها التعليمي، ويجب أن تكون على استعداد للمزيد من التطور و التغيير دائما.

تمهيد:

المدرسة هي المؤسسة التي تعمل على إعداد الأجيال وتهيئتهم ليكونوا رجال المستقبل مسلحين بسلح العلم والمعرفة، والقيم الإنسانية السامية لكي يتواصل تقدم المجتمع الإنساني، ويتواصل التطور الحضاري جيلاً بعد جيل، ولقد تعاضم دور المدرسة على مر التاريخ حتى أخذ أبعاداً مختلفة بفعل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة، ومع التطور التكنولوجي والتسارع العلمي أصبحت مهمة المدرسة أكثر تعقيداً. وأصبح التعليم يعتمد على التكنولوجيا في تقديم المعارف المختلفة، كما أصبحت هناك مصادر مختلفة تنقل المعرفة، وأصبح من الضروري أن تشاركها الأسرة في مهمتها، فالمدرسة لم تعد قادرة لوحدها القيام بكل المهام التربوية والتعليمية والتنقيفية والتكوينية، ونتيجة لذلك:

هل ستبقى المدرسة تحضى بالدور الذي مارسه دائماً.

هل سيحدث تقلصاً لهذا الدور، أو سيتعاضم دورها.

هذا ما ستحاول الوقوف عليه هذه المقالة، ولكن قبل اللوج إلى الدور الذي آلت إليه

المدرسة اليوم، يجدر بنا التعرض إلى مدخل مفاهيمي، يتعلق بمفهوم المدرسة و تطورها التاريخي.

أولاً - المدرسة، رؤية سوسيو تاريخية**1-1 - مفهوم المدرسة:**

لقد عرف الفكر السوسولوجي المدرسة بأنها المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد المؤسسة الأولى (الأسرة) في الأهمية، ومؤسسة متخصصة أنشأها المجتمع لتربية أفراده وتعليمهم، وهي أيضاً مجتمع مصغر يشبه المجتمع الكبير، لأنها تضم داخلها مجموعة من الأنشطة والعلاقات الاجتماعية المتعددة وعلاقتها بالمجتمع علاقة متبادلة كما تعتبر وسطاً تربوياً تتميز عن الأوساط الاجتماعية الأخرى نظراً لخبراتها التربوية المقصودة كما تساهم في بناء النظام الاجتماعي¹.

لذلك نجد إميل دوركايم يعتبرها: تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى

الأطفال قيماً ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورة لتشكيل الراشد وإدماجه في بيئته ووسطه، فهي مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التربية².

وبالتالي فالمدرسة جزء ضروري ومتكامل مع النظام الاجتماعي ومستمر مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع. فهي وارثة للتراث الثقافي، فعندما لا تستطيع أي مؤسسة اجتماعية القيام بوظائفها على خير وجه، وحينما توجد أعمال يجب القيام بها دون أن توجد مؤسسات اجتماعية قائمة لتحقيق هذه الأعمال فإن المسؤولية تلقى على المدرسة، وعندما يقل دور الأسرة لانشغالها أولاً تستطيع إمداد الطفل بالخبرة الآمنة المستقرة المشبعة بالعاطفة فإننا نتوقع من المدرسة أن تحل محل الأسرة، وإذا ما أخفقت أو تقلص دور العبادة في تعليم القيم الأخلاقية والدينية فإن هذا العمل يفوض إلى المدرسة، وهكذا...، ومن النادر في الوقت المعاصر أن نجد ميدانا من ميادين النشاط الإنساني لم تستدع المدرسة للقيام بمساعدة كبرى له³.

استشفافا لما سبق تقوم المدرسة على فكرة التنمية بمفهومها الواسع، وتنشئة الجسم والعقل معا، وبذلك تسدي المدرسة إلى الفرد ما يسديه الدهر البشري بأسره⁴. فالمدرسة كمؤسسة أنشأها المجتمع لا تقتصر على تأمين فرص التعليم للجميع، بل تتعدى ذلك إلى معالجة الإنسان فردا وجماعة في ارتباطه مع محيطه⁵.

لذلك تتميز المدرسة بخصائص تربوية تميزها عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية،

وهي:

1. بيئة تربوية مبسطة تعمل على تبسيط ما في المجتمع من تعقيد بحسب قدرات وحاجات الفرد واستعداداته وتدرجها من السهل إلى الصعب ومن المدركات الحسية إلى المجردة.
2. بيئة تربوية مطهرة، فمع تعقد المجتمع تسعى المدرسة إلى أن تقدم بيئة منتقاة من الفساد ومطهرة من عوامل الانحلال التي تصيب المجتمع، وبالتالي تعمل المدرسة على حماية الفرد ورعايته حتى يتم نضجه ويصبح قادرا على مجابهة ما في المجتمع من فساد.
3. بيئة تربوية متزنة: تتيح الفرصة لكي يتحرر الفرد من إنكاليته على الجماعة المنزلية التي يعيش في وسطها ليتصل ببيئة أكثر اتساعا فيحدث الاتزان بين مختلف عناصر البيئة الاجتماعية⁶.

لقد أخذ مفهوم المدرسة أبعادا عديدة، مما يوضح مدى أهميتها في المجتمع، لذلك يتطلب منا معرفة تاريخ نشأتها وكيف تطورت عبر المراحل التاريخية المختلفة حتى اكتسبت هذا الدور.

1- 2- نشأة المدرسة وتطورها:

إن معرفة التطور التاريخي للمدرسة ضرورة ملحة، إذ أن مثل هذه المعرفة من شأنها أن تضعنا أمام تصورات الفكر الإنساني، وتكشف لنا عمق المكانة التي تحتلها المدرسة يوما بعد يوم، فإذا رجعنا إلى البدايات الأولى لتبلور فكرة التربية والتعليم وإلى من تؤول، نجد أن نشأة المدرسة تمتد إلى أقدم العصور، حيث امتازت بالبساطة لأن الحياة القديمة كانت بسيطة، وكان التعليم متعلقا بأساسيات الحياة مثل الصيد والزراعة وصناعة بعض الأدوات اللازمة للصيد والعيش، وتعليم اللغة التي يتواصل بها الإنسان مع غيره من بني جنسه، فلم تكن المدرسة مؤسسة مستقلة، فالأسرة تقوم بكل الوظائف الدينية والاقتصادية والتربوية وغيرها.

لذلك ظهر في البداية ما يسمى المدرسة البيئية، حيث يشرف الوالدان على تربية أبنائهم وتعليمهم مستلزمات الحياة عن طريق الممارسة والتجربة، وذلك بصورة تلقائية غير مقصودة، فالأولاد يرافقون آباءهم للحقل للزراعة أو الصيد أو الرعي ليساعدونهم، والفتيات يمكن مع أمهاتهن ليأخذن تفاصيل شؤون البيت، فكان الطفل في هذه المجتمعات البدائية يتعلم عن طريق ملاحظة وتقليد ومحاكاة ما يفعله أفراد عائلته وبخاصة الأبوان، وبهذا فقد كان التعليم يتم بصورة غير مقصودة، فلا الأبوان كانا يعيان بأنهما يقومان بدور المعلم، ولا الأولاد كانوا يعون بأنهم يمارسون دور التلاميذ، وبالإضافة إلى ذلك، كان الأولاد يتعلمون الشيء الكثير من خلال البيئة واللعب.

ثم ظهرت المدرسة القبلية، والتي يلتحق بها الأطفال ويتلقون عن شيخ القبيلة أو رجال الدين معارف ومفاهيم لاهوتية وإرشادات تخص قانون القبيلة وطقوسها وتقاليدها الاجتماعية، فلم تكن المدرسة البيئية كافية لإعداد الطفل من الناحية الروحية، فاستعان الآباء بخبراء القبيلة أو عرافيها لهذا الغرض، وكان العرافون يفسرون ويعللون للأطفال الظواهر الروحية والطبيعية بصورة تغلب عليها السذاجة، وعلى نحو خرافي أسطوري.

وبعد تطور الحياة الاجتماعية وتحولت المجتمعات القديمة وظهور الحضارات أصبح التعليم فيها مخصصا لصفوة المجتمع من أبناء الملوك والحكام ورجال الدين والفلاسفة⁷. أما في العصور الوسطى فقد تحول فيها نمط التعليم من خاصة تزيد من شموخ الطبقة الحاكمة إلى نظام اجتماعي يمكن أن يساهم فيه الجميع، وتقوم به مختلف دور العبادة والمؤسسات الدينية، أما في المجتمعات الإسلامية فكان المسجد أول مظهر للعبادة والتعليم حيث انتشر التعليم وشمل كل فئات المجتمع على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم، يتم فيها حفظ القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فيتعلم الأفراد معايير السلوك الفردي والجماعي، فيتمكنون من حل مشكلاتهم الأسرية والاجتماعية، ويخططون لحياتهم المستقبلية.

وفي العصر الحديث، ومع تعقد الحياة الاجتماعية وتزايد حجم المجتمعات وتغير طرق ممارستها الاقتصادية والسياسية، فكانت المدرسة ترصد كل هذه التغيرات وتأثرت بها وتطورت على إثرها، فأصبحت من أبرز مؤسسات المجتمع وأهمها لأنها تعتبر من الميكانيزمات الأساسية التي تتحكم في اتجاه تغير المجتمع وتقدمه، فبعد أن كانت وظيفة المدرسة مبسطة تقتصر على تعليم مبادئ وأساسيات اللغة والسلوك والدين، أصبحت اليوم تهتم بالفرد كعنصر فعال في الجماعة لديها أهداف مجتمعية كبرى تتدرج ضمن استراتيجيات التخطيط المستقبلي.

لذلك نجد جون إتيان يصف j.etienne المدرسة في هذه المرحلة بأنها تمارس الكثير من المهام، فهي مقر للتدريب الابتدائي (قراءة، كتابة، الحساب، التمكن من اللغة) إضافة إلى نقل الثقافة، حيث تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الثقافية وتدرس معايير وقيم مشتركة لمجتمع ما⁸.

مما سبق يتبين لنا الدور الذي آلت إليه المدرسة وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع، لكن يبقى دورها التربوي من أهم الأدوار التي تقوم بها، فبالرغم من التغيرات الاجتماعية والاكتشافات العلمية سبقت المجتمعات بحاجة للمدرسة، لأنها مكان لرصد وإحداث كل تغير اجتماعي.

1-2- دور المدرسة في العملية التربوية:

يأتي دور المدرسة بعد الأسرة، حيث ينتقل الطفل من جو الأسرة الصغير إلى جو أوسع تحيطه الغربة والشمولية والنظام، حيث كان منشغلاً بأوجه نشاط طبيعي غير متكلف في بيئة تتسم باتصالات محدودة، وعند دخوله إلى المدرسة ينتقل الطفل إلى بيئة تتميز بجديتها وتتضمن أدوار وتنظيمات متعددة⁹. ودور المدرسة لا يقتصر على تلقين الفرد جملة من المعارف والمعلومات التي تحتويها الكتب والمواد الدراسية بل تتعداه إلى تلقين الطفل القيم والمبادئ الأخلاقية والاتجاهات الدينية، حيث يرى **جولد بيمون** بأن التربية هي التي تكون أداة إلى النمو العقلي وازدهار النفس بالأخلاق الفاضلة¹⁰. ويرى **محمد مصطفى أحمد**: أن الدور الحقيقي للمدرسة يجب أن يتجه إلى تدعيم التغيير الثقافي والإسراع به وتوجيه فهمه، وذلك من خلال تعريف التلاميذ بالمتغيرات الثقافية وتنمية العادات والاتجاهات الجديدة وإعداد الأجيال التي تصنع التغيير وتقبل كل شيء إيجابي وترحب به¹¹.

لذلك كان للمدرسة أثر كبير وأهمية بالغة في التأثير على تربية الطفل، وهي إحدى أساليب التنشئة المقصودة لأنها تعتبر أول انفصال له عن أمه وانتقاله من مجتمعه الأسري إلى مجتمع أكثر رحابة.

ويذهب **جون بياجيه** إلى أن أبرز أثر للمدرسة على العملية التربوية للطفل هو القضاء على ما سيتسم به من تمركز حول الذات، نتيجة لعلاقته بالأسرة، حيث يتعامل مع المدرسين ويهتم بهم، وبالنقايد المدرسية والنظم، إذ تدعم القيم والمعتقدات والاتجاهات الحميدة في الأسرة كما تمحي بعض المفاهيم والقيم والعادات السيئة، كما أنها تغرس في الفرد طرق التفاعل الإيجابي مع الغير¹²، وقد تكون المدرسة مصدر للصراع بالنسبة للطفل أكثر منها مصدراً للتصحيح وهذا ما يحصل عندما تتعارض قيم الأسرة وقيم المدرسة، على سبيل المثال، عندما يكون الطفل يمارس الكذب والسب والغش في أسرته ويعتبرها أشياء عادية في حياته ولكنه في المدرسة يقابل بالعقاب فإن هذا سوف يؤدي إلى التذبذب في شخصيته وقد يتسبب أيضاً في انحرافه¹³.

لذلك تعد المدرسة بحق الوكالة الاجتماعية الثانية، بعد الأسرة، للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال، والأجيال الشابة؛ حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحياً ومعرفياً وسلوكياً ودينياً وأخلاقياً ومهنياً، وذلك من أجل أن تحقق للأفراد اكتساب عضوية الجماعة والمساهمة في نشاطات الحياة الاجتماعية المختلفة. وتعمل المدرسة، اليوم

على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية. ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن نذكر على سبيل المثال، وليس الحصر، جملة من الوظائف أبرزها: تحقيق التربية الفنية، والتي تتمثل في الموسيقى والرسم والأنشطة الفنية الأخرى، ثم التربية البدنية، والتربية الأخلاقية والروحية، والتربية الاجتماعية، وتحقيق النمو المعرفي، وأخيراً التربية المهنية¹⁴.

وفي هذا الصدد نجد الاتجاه البنوي الوظيفي أحد أبرز التيارات السوسولوجية التي تبحث في بنية المدرسة ووظيفتها. وبعد كل من راد كليف براون ومالينوفسكي، من رواد هذا الاتجاه السوسولوجي الحديث، الذي ظهر في العقد الأول من القرن العشرين. وتزعم هذا الاتجاه كل من تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون، وفي مجال تحديده للنظام، يميز بارسونز عموماً بين أربعة مجموعات مكونة للنظام وهي:

- الأدوار التي تتمثل في النشاطات التي يقوم بها الأفراد.
- منظومة المعايير التي تسود داخل النظام.
- الجماعات كجماعات الصفوف والعائلات والأفراد.
- منظومة القيم التي تسود داخل النظام وتوجه مسار حركته.

ويجري اليوم توظيف المنهج البنوي الوظيفي لدراسة بنية النظام المدرسي وتحديد مكوناته ونسق فعالياته الداخلية والمجتمعية. ومن الدراسات الهامة التي اعتمدت على هذا المنهج، يمكن الإشارة إلى "دراسة كورودون وأعمال كولمان في الولايات المتحدة حيث ركز الباحثان على تحليل بنية النظام المدرسي ونسق العلاقات التي تقوم بين جوانب هذا النظام وفقاً للاتجاه البنوي الوظيفي، وتسعى الدراسات البنوية الوظيفية الجارية في ميدان المؤسسة المدرسية اليوم إلى تحديد العناصر المكونة للنظام المدرسي، كما تسعى إلى تحديد نظام التفاعلات القائمة في داخلها من أجل تحديد الملامح الأساسية لدورها ووظيفتها الاجتماعية، وقد استطاعت هذه الدراسات أن تحدد الأطر البنوية الأساسية للمؤسسة المدرسية¹⁵.

أما دور المدرسة اليوم، فهو توفير ثقافة عامة وممتينة للطفل وأن تسبق هذه الثقافة في عموميتها أي تخصص¹⁶، فأصبحت شاملة للكثير من الأدوار التي تجعلها محل اهتمام الكثير من الأبحاث والدراسات.

مما سبق يجدر بنا القول أن دور المدرسة لا يقتصر على تلقين الفرد جملة من المعارف والمعلومات التي تحتويها الكتب والمواد الدراسية بل تتعداه على تلقين الطفل القيم

والمبادئ الأخلاقية والاتجاهات الدينية، حيث يرى **جولد سيمون** أن التربية هي التي تكون أداة إلى النمو العقلي وازدهار النفس بالأخلاق الفاضلة¹⁷.

مما سبق يجدر بنا القول أن دور المدرسة لا يقتصر على تلقين الفرد جملة من المعارف والمعلومات التي تحتويها الكتب والمواد الدراسية بل تتعداه إلى تكوين شخصية الفرد المتكاملة والمتفاعلة مع المجتمع المحلي والعالمي، وبالتالي نتوقع لها دائما أدوارا متجددة، مما يجدر بنا معرفة الأدوار التي تمارسها المدرسة الحديثة.

ثانيا- الأدوار الحديثة للمدرسة:

لقد أدى التغير الاجتماعي والتطور الحاصل في المجال العلمي إلى تطور وظائف المدرسة، التي تعتبر المجال الذي يتأثر بكل التغيرات التي مرت على المجتمعات المعاصرة، والتي تؤثر بدورها في مسارات تلك التغيرات وتوجيهها، ومن الضروري معرفة كيف حدث تطور وظائف المدرسة حتى اكتسبت وظائفها الحديثة.

1- الوظيفة الاجتماعية للمدرسة:

خلال العصر الحديث ظهرت الثورة الصناعية وتطورت المدينة وساد الإنتاج الصناعي وأصبح من المتعذر على الأسرة أن تكون الوحدة الأساسية في الإنتاج كما هو الحال الزراعي، وخرجت المرأة للعمل، وترتب على ذلك تطور في وظيفة الأسرة وأصبحت الحاجة ماسة إلى انتشار المدرسة باعتبارها من أهم سبل الإعداد الناشئة من الأطفال والشباب، ثم بدأ الاتجاه الديمقراطي في السريان بين المجتمعات والشعوب، مما أدى إلى بروز مفاهيم ومبادئ جديدة انعكست على المدرسة حول إزالة الفوارق والحوازج بين الطبقات الاجتماعية في التعليم، وحق التعليم لكل مواطن، ومجانية وتكافؤ الفرص، كما تنوعت وتعددت مشكلات المجتمعات الحديثة وانعكست على المدرسة، وأثر بالتالي على الحياة المدرسية والعلمية التعليمية ولم تعد الوظيفة الاجتماعية للمدرسة تقتصر على إعداد متعلمين لممارسة متطلبات المجتمع، بل امتدت إلى مقابلة الاحتياجات ومواجهة المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على الطلاب وفاعلية التعليم، وأيضا على الحياة المدرسية والمجتمع كذلك¹⁸.

لقد عرفت المؤسسات المدرسية تطورا مذهلا تجلى خاصة في مجانية التعليم والزاميته وتأسيس نقابات المدرسين وسن قوانين تتعلق بالتعليم التقني الوطني وتمديد إجبارية التمدريس

إلى غاية سن السادسة عشر، فلم يعد بالإمكان تصور أن ينفلت أحد من النظام المدرسي، وقد صار هذا الأخير كضرورة حقيقية يتعين على المجتمع الامتثال لها.

لذلك يفترض على هذا النظام أن يوفر ويمنح الأدوات الضرورية للعيش والعمل، ونتيجة لذلك تزايد عدد المتعلمين، وهذا يجسد الاهتمام المتزايد بالمدرسة والتعليم¹⁹.

ونتيجة لذلك أصبحت المدرسة سبيلا للاستثمار في الموارد البشرية، ففي ظل التحولات المتواترة التي شهدتها المجتمعات الصناعية على وجه الخصوص ابتداء من عقد السبعينات في القرن الماضي تأكد بأن القدرة الإنتاجية لا يمكن حصرها في الآلة وحدها، بل هي رهينة بالخلق والإبداع المتواجد لدى العنصر البشري الذي يحمل مؤهلات ومواصفات ليست متعلقة بالمكتسبات المعرفية فحسب بل تتطلب توفر مزايا أخرى مثل حسن المبادرة والإسهام بالمقترحات والأفكار، وبما أن المدرسة تعد الخزان الرئيس للموارد البشرية التي تلج عالم الشغل، قد وجدت نفسها مطالبة بتحويل وظيفتها في هذا الاتجاه، أي لم تعد فضاء لتلقي المعارف فقط بل يتعين عليها أن تسعى إلى استثمار رأسمالها البشري وتأهيله للحياة المهنية والاجتماعية الناجحة.

إن متطلبات سوق الشغل والتحولات الاقتصادية والاجتماعية الراهنة تلزم المدرسة بأن تضطلع بدور إكساب الخبرات والمبادرات وحسن التواجد، وهذه المكونات من شأنها أن تخلق لدى المتعلم فن حس العيش، أي قدرة التعامل مع مختلف الوضعيات مهنية كانت أم اجتماعية وتربيته على حسن المسؤولية والوعي بحقوقه وواجباته²⁰.

لذلك ينظر رجال التربية إلى المدرسة على أنها مركز اجتماعي هام يقضي فيها

الطفل ساعات طويلة من حياته اليومية وانتقد روبرت دريبين ROBERT DREEBEN الفكر التربوي التقليدي الذي حصر دور المدرسة كعملية تعليم تنصب أساسا على الجوانب المعرفية.

فأهم ما يميز دور المدرسة عن غيرها هو ما لها من تنظيم اجتماعي رسمي يجعلها ذات خصائص ثقافية اجتماعية منفردة بها عن الأسرة أو أي مؤسسة أخرى، أما من جانب المجتمع فقد حدد جون ديوي وظائف المدرسة الحديثة في نقاط تلخص دورها المزدوج والذي بقدر ما يحافظ على أصالة المجتمع يسعى إلى تحديثه وتطويره على النحو التالي:

- تهيئة الأطفال لفهم الحياة الاجتماعية باعتبار المجتمع جهاز معقد التركيب فيه نظم اقتصادية سياسية دينية فنية يصعب على الفرد فهمها.
- خلق مجتمع للناشئة مصفى من الشوائب.
- إقرار التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية التي يمكن تعريفها بأنها بوتقة يصهر أفراد المجتمع فيها.
- توحيد نفسية الفرد حتى لا تتجاذبه طوائف الأمة فتفتكك نفسيته.
- المحافظة على الإرث الماضي والتمسك به ومواكبة تطورات المستقبل والحاضر 21.

ومع ذلك فالمدرسة مطالبة اليوم بأن تقوم بكل شيء لا تستطيعه الأسرة، فهي مطالبة بإعداد الإنسان الكامل، وأن تكون مسؤولة عن التربية الأخلاقية والعقلية والبدنية، ومن جهة أخرى يراد لها أن تكون البوابة الأساسية للدخول في سوق العمل والحراك الاجتماعي، أي من أجل الوصول إلى سوق العمل والحصول على ترقية وظيفية، ومن أجل ذلك يمكن التضحية بكل شيء بالتربية الأخلاقية والتربية الجمالية والفضول الذهني أو التربية العقلية²².

2-2- الوظيفة السياسية للمدرسة:

كما تقوم بين مؤسسة المدرسة، والمؤسسة السياسية، علاقات جدلية عميقة وجوهرية، فالمؤسسة السياسية معنية بتحديد أهداف التربية وغاياتها وتحديد استراتيجيات العمل المدرسي ومناهجه، لتحقيق أغراض سياسية اجتماعية قريبة أو بعيدة المدى. وغالباً ما ينظر إلى المدرسة بوصفها حلقة وسيطة بين العائلة والدولة، لتحقيق الغايات الاجتماعية التي حددها المجتمع لنفسه.

وتبين القراءة التاريخية لعمل المدرسة ووظيفتها، أن عمل المدرسة ومهمتها تتغير بتغير أنظمة الحكم القائمة والأيديولوجيات السائدة. فمثلاً، لقد تحولت المدرسة إلى أداة في يد الدولة الماركسية لتحقيق أغراض واستراتيجيات و إيديولوجيات السياسة الماركسية.

وعلى خلاف ذلك تحولت المدارس في ألمانيا النازية، إلى جهاز سياسي يهدف إلى تكريس مبادئ النازية، وتمجيد العرف الآري، وكان عليها أن تقوم بمهمة تذيب وصهر كافة الثقافات الاجتماعية للشعب الألماني في بوتقة الانتماء إلى القومية الألمانية المتعالية.

أما في المجتمعات الليبرالية فإن المدرسة تسعى إلى تعزيز قيم الليبرالية الاقتصادية، ومفاهيم الحرية الشخصية، وتكريس العقلية العلمية. وهناك نماذج أخرى متعددة . فالسياسات التربوية القائمة، لأي من البلدان، تحدد للمدرسة وظائفها ومهامها وأدائها، وتصوغ لها مناهجها بما ينسجم مع التوجهات السياسية الكبرى للمجتمع المعني؛ ويتم ذلك كله عبر منظومة من الخطط والاستراتيجيات المتكاملة والموجهة، فالسياسة التربوية لمجتمع ما تحدد في إطار سياسته العامة، وتسعى هذه السياسات في جملة ما تسعى إليه إلى تعزيز الإيديولوجيات الاجتماعية السائدة وتحقيق الوحدة السياسية للمجتمع²³. إن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها المجتمعات المعاصرة والتي كان لها الأثر الكبير على وظائف المدرسة، فالنظام التربوي أصبح أداة لتحقيق الأهداف الأيديولوجية للدولة، كما أدى التطور التكنولوجي إلى تطور هائل في نظم المعلومات واتساع نطاق المعرفة مما أدى إلى تغيير في المناهج الدراسية، وأدى العامل الاقتصادي إلى ربط المدرسة بالمجتمع ومؤسساته الاقتصادية المختلفة، وبالتالي ظهر ما يسمى بمفهوم المدرسة الحديثة.

1- الوظيفة الاقتصادية للمدرسة:

المدرسة الحديثة تسعى إلى تلبية احتياجات التكنولوجيا الحديثة من فنيين، وخبراء، وعلماء، وأيدي عاملة، لقد بدأت المدرسة ترتبط تدريجياً، وعلى نحو عميق مع المؤسسات الاقتصادية الإنتاجية، ويتجسد ذلك في المدارس الفنية والمهنية، التي تتصل بشكل مباشر بعجلة الإنتاج الصناعي المتطور. وغني عن البيان أن المدرسة تلعب دوراً هاماً في زيادة الدخل القومي، وتحقيق النمو الاقتصادي في البلدان المتطورة النامية على حد سواء.

وقد كان للاقتصادي الإنكليزي آدم سميث فضل السبق على معاصريه في الإشارة إلى أهمية رأس المال البشري ودوره في الدخل الاقتصادي القومي، والذي سبق له القول أن الرجل المؤهل علمياً يمكن أن يقارن بإحدى الآلات المتطورة والحديثة والمكلفة في مجال الإنتاج والتوظيف والاستثمار.

ولم تبق هذه الحقيقة الاقتصادية اليوم سرا مرهونا بالاختصاصيين فحسب، فلقد بدأ الناس يدركون أهمية التحصيل العلمي في رفع مستوى الإنتاج ومستوى الدخل على المستوى الفردي كما على المستوى القومي. وفي هذا الخصوص " يشير ريمون بودون إلى ذلك الأمر

في كتابة الحراك الاجتماعي ويؤكد أن صورة التعليم بدأت تأخذ مكانها في عقول الناس على أنها عملية توظيف واستثمار وعائدات، حيث بدأ الناس ينظرون إلى المدرسة من مفاهيم العرض والطلب والتوظيف والعائدات... الخ .

وينظر اليوم أصحاب النزعة الاقتصادية إلى المدرسة في جوانبها الاقتصادية. ويعملون على دراسة حركتها وفاعليتها بوصفها مؤسسة إنتاجية تطرح نتاجا من الشهادات والناس في أسواق العمل، وهو نتاج تتباين أهميته وجودته بتباين المدة الدراسية، ونوع الدراسة والفرع العلمي، ومدى أهمية الاختصاص في سوق العمل وفقاً لمبدأ العرض والطلب الاقتصادي²⁴.

إن المدرسة الحديثة مؤسسة اجتماعية تسعى إلى تحقيق احتياجات الفرد والمجتمع، وإن أدوارها متغيرة بفعل التغيير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمع المعاصر، وبالتالي نتوقع لها دائما ادوارا متجددة.

ثالثا- الأدوار التجديدية للمدرسة:

لقد تنوعت المدارس في الوقت الراهن، حيث يمكن تصنيفها وفق عدة أنماط من التصنيفات حسب مرحلة التعلم الرسمي الخاصة بها وتكون رياض الأطفال، ابتدائية، أكاديمية، ثانوية، ثم جامعة.

وحسب حجمها تكون في نوعين: وضعية مكونة من معلم وتلاميذ في غرفة دراسية (مدرسة المعلم الوحيد)، كما يحدث في المناطق الريفية البعيدة والصغيرة، أو مدارس عادية مركبة ومكونة من عدة فصول وأدوار ومستويات دراسية، أو بحسب تبعثها الإدارية والمالية، وتكون مدارس رسمية عامة يتم إدارتها وتمويلها في وزارة المعارف أو التربية والتعليم، ثم خاصة يؤسسها فرد أو أكثر لأغراض مشتركة تربوية أو تجارية مادية²⁵، وتطورت أدوارها.

3-1- الأدوار الحديثة للمدرسة:

- إحداث التكيف الاجتماعي: تقوم المدرسة بإيجاد درجة عالية من المرونة للتعامل مع المستجدات والمتغيرات، وبالتالي تنمية أنماط سلوكية جديدة تتلاءم معها.
- تحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات: تقوم المدرسة بتحرير كل فرد من الانطواء داخل جماعته ليدخل في معترك الحياة في البيئة الأوسع.

- تنمية مهارات سلوكية جديدة: لا تقتصر وظيفة المدرسة على الجوانب المعرفية أو التعليمية، بل تمتد وظيفتها إلى الجوانب الشخصية والاجتماعية للطلاب وتربي فيهم العادات والقيم السوية التي يبتغيها آباؤهم ومجتمعهم.
- تنمية مهارات الابتكار والإبداع الفني: المدرسة تنمي لدى التلاميذ المواهب من خلال تكامل الخبرات في المناهج، واستخدام الأساليب والتقنيات الحديثة في التدريس، والابتعاد عن الحفظ والتلقين، و تعمل على إثارة اهتمامات وميول ورغبات التلاميذ بالأنشطة المتعددة.
- اختيار التعليم الوظيفي: بإعطاء التلاميذ فرصة انتقاء التخصص العلمي سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية، وذلك بترك الطالب يختار ما يناسبه تحت رقابة الخطة العملية التقييمية المدرسية.
- تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب: من خلا توفير بيئة ملائمة للأفراد تسهم في تنمية قدراتهم واستعداداتهم للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية داخل المجتمع، وبهذا يصبح المجتمع مفتوحا لحراك أعضائه.
- المراجعة الناقدة للمذاهب المعاصرة: بأن تكون قادرة على التعامل معها، بحيث تستفيد منها، مع المحافظة على قيم ومعتقدات المجتمع، والتصدي لكل ما هو دخيل على المجتمع من أفكار لا تتناسب مع أهدافه ومعتقداته²⁶.

3-2- الصعوبات التي تحول المدرسة الحديثة لأداء أدوارها:

- عزلة المدرسة عن مجريات الواقع الاجتماعي، ويكون بسبب قصور وسائل التعلم والمناهج عن متابعة التطور في الواقع الفعلي للمجتمع
- عدم التخطيط والاستعداد للمستقبل، حيث تغرق المدرسة في إيجاد حلول جزئية للمشكلات التي تعاني منها، وتغفل عن الاستعداد للمستقبل.
- الثنائية بين التعليم الأكاديمي والتعليم الفني، الذي يسهم في التمييز الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث يقبل المتفوقون على التعليم الأكاديمي، بينما يقبل التلاميذ ذوي المستويات المتدنية على مؤسسات التعليم الفني.

➤ اتساع دائرة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، وتزايد متطلبات هذه الأنشطة من المهارات والخبرات²⁷.

إن المدرسة في هذا العصر تجد نفسها أمام وظيفة جديدة تفرضها عليها طبيعة التغييرات الجذرية التي يتميز بها هذا العصر؛ فقد تراكم التراث الثقافي بشكل لم يسبق له مثيل، واتسع نطاقه باتساع نطاق الخبرات الإنسانية وتشابكها وسهولة انتقال نتائجها وتفرع فروع المعرفة المختلفة؛ وليس معنى الاقتصاد الثقافي اختزال التراث الثقافي لسهولة نقله والافتقار على جانب منه دون جوانب أخرى، بل أنه يعني الاختيار والتمييز بين العناصر القديمة والجديدة وتحقيق التكامل السليم بين فروع المعرفة، مع جعل هذا الرصيد بعد ذلك سهلة التداول، وعلى هذا فالمدرسة مطالبة لقيامها هذه الوظيفة بابتكار الوسائل والأساليب الجديدة وتنظيم المادة الدراسية وتقديمها وتوصيلها للناشئين²⁸.

ومن هذا المنطلق طرح في الفكر السوسيوتربوي مسألة الارتباط الوثيق بين المدرسة والمجتمع، والتي جاءت في أطروحات العديد من الباحثين.

رابعا- المدرسة والمجتمع:

لقد ظلَّ الجدل القائم حول المدرسة يتراوح بين خطي المحافظة والتجديد في ما يتصل بصلتها بالمجتمع، وينطوي كلَّ قطب جدلي على تباين اتجاه التأثير بين المدرسة والمجتمع فبينما ينتصر دوركائم للوظيفة المحافظة للمدرسة على اعتبار أنها أداة المجتمع لإعادة إنتاج وتثبيت نظامه الاجتماعي عبر التنشئة: أي تكييف التلميذ مع البيئة الاجتماعية. فهو بذلك >> ينشئ صلة بين الأخلاق مأخوذة في قوة دمج اجتماعي والتربية ليبرهن على الوظيفة الاجتماعية المنوطة بالمربي<<؛ الذي يتمتع بسلطة أخلاقية تفوقه شخصيا ، إنه >> وسيلتها دون أن يكون صانعها<<، وتتجه التيارات الماركسية إلى توصيف الفعل التربوي انطلاقا من خارج المدرسة دون الخروج عن كونها أداة للمجتمع.

ومن جهته يرى (ألتوسار althusser) أنّ النظام المدرسي هو أحد الأجهزة الإيديولوجية للدولة الذي يؤمّن استنساخ روابط الإنتاج عبر خلق نموذج تقسيم مستويات التكوين مطابق لنموذج تقسيم العمل السائد في مجتمع معين، ضمن حقبة تاريخية محدّدة، على أنّ وسيلة المدرسة هنا هي الإكراه الثقافي الذي لا يعنى العنف مثلما الظاهر، بل إخضاع كلّ مكونات وعناصر العملية التعليمية إلى الإيديولوجيا السائدة بعبارة (ألتوسير) أو

المحافظة على النفوذ الثقافي للمهيمن مادياً أو طبقياً بعبارة (باسرون وبورديو) يصبح معه الفعل التربوي الذي أداته اللغة وعونه الدرس " ممثلاً الثقافة المؤسسية أو هو عامل الاصطفاء الثقافي "علم لفرض الثقافة الشرعية أو تكريسها²⁹.

إلا أن ارتباط المدرسة بالأسرة في وقتنا المعاصر أصبح ضرورة ملحة، فالتغير الحاصل في المناهج والبرامج المدرسية وكثافتها التي نتجت عن الزخم المعرفي المتواصل جعل من المدرسة مؤسسة غير قادرة على القيام بوظيفتها لوحدها بل تشاركها مؤسسات عديدة كالإعلام ورياض الأطفال والأسرة، هذه الأخيرة التي أصبحت تقوم بدور تربوي وتعليمي مهم.

4-1- علاقة الأسرة بالمدرسة:

إن المدرسة بكافة أشكالها (الطور الابتدائي، والثانوي، والجامعي) تظل عاجزة عن خلق المتعة والرغبة في المعرفة، بمعنى الاستعداد السيكولوجي العميق للبحث والمعرفة، وهو استعداد يبقى مرهوناً بالأسرة في المقام الأول ثم المحيط الخارجي وعلى وجه الخصوص وسائل الإعلام.

وبذلك فالمدرسة تجد نفسها وثيقة الصلة بالأسرة والمحيط، وهذا يعني أنها لا تتمتع بالاستقلالية، ومن هذا المنطلق، فهي تختلف بشكل كبير تبعاً للأصول الجغرافية والثقافية لجمهور المتعلمين الذين تحتضنهم. لذلك فالوسط الاجتماعي الذي يتسم بالفقر الاقتصادي والثقافي لا يسع المدرسة إلا أن تقود إلى الفشل والجهل، بل تخلق إعاقات ثقافية، في حين فإن المحيط الميسور اقتصادياً وثقافياً، تبقى المدرسة ذات نفعية معينة من حيث كونها تتيح الاتصال ما بين النخب والعديد من قنوات الإعلام³⁰.

4-2- أهمية التعاون بين البيت والمدرسة:

- تصبح على دراية بالعمليات التعليمية والقوانين التي تحكم تلك العمليات.
- تصبح واثقة من قدرتها على العمل مع المدارس.
- يتوقع تفهم أفضل من أبنائهم وأطفالهم.
- تعليم أبنائهم على أهمية التعليم.
- معرفة ما يمكن لأطفالهم معرفته وتكون قادرة على القيام به، وتعزيز الدروس في المنزل.

- إرسال أولادهم إلى المدرسة على استعداد للتعلم كل يوم³¹.

خلاصة:

لقد تعاضد دور المدرسة وزادت مسؤوليتها، وتطلب ذلك وجود علاقة بين الأسرة والمدرسة من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف التربوية التي يسعى لها كلا الطرفين، ومشاركة الأسرة للمدرسة فيما يتعلق بشؤون تدرّس أبنائها يجعل المدرسة قادرة على مواكبة التطور والتغير في ظل هذا العصر المتطور بسرعة صاروخية، وفي الواقع وفي حالات معينة تعتمد المدرسة في تمويلها على المجتمع المحلي، ويمكن القول أن هذا السبب هو من أقوى الأسباب التي تفرض إقامة تعاون وثيق بين المدرسة والمجتمع المحلي ولكنه وارد أيضاً حتى بالنسبة للمدارس التي تنفق عليها جهات رسمية، يُنتظر من المدرسة أن تتسق مع مختلف المؤسسات وخاصة الأسرة التي تعني برعاية الطفل لما لهذه المؤسسات من تأثير على نمو الطفل وعلى مستوى أدائه الدراسي، وبالتالي فالمدرسة والأسرة مؤسستين اجتماعيتين فرضت عليهما التغيرات الاجتماعية المتسارعة العمل جنباً إلى جنب، فأصبحت أدوارهما مترابطة ومتكاملة،

مما سبق يتضح أن دور المدرسة مهماً في بناء وتكوين وخلق كوادر قادرة ومؤهلة لدفع عجلة التقدم والحراك الاجتماعي إلى الأمام، والمجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة له دور كبير لا يقل عن دور المدرسة، والعلاقة بين الجميع متكاملة وضرورية. فالمجتمع هو الذي يؤسس المدرسة ويحدد أهدافها وفق توجهاته ورؤاه، وهو الذي يطورها ويعددها بصورة متقدمة لتقدم المزيد من العطاء الثري، وهو الذي يوفر لها كل المستلزمات التي من شأنها أن تؤدي إلى إنجاح المسيرة التربوية والتعليمية / التعليمية. الهوامش:

1. علي بوعنقة وبلقاسم سلطنية، علم الاجتماع التربوي، مدخل ودراسة القضايا والمفاهيم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ب ت، ص 202
2. مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ط1، 2002، ص 138.
3. فايز مراد دندش، علم الاجتماع التربوي بين التأليف والتدريس، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر الإسكندرية، 2000، ص 133 وص 197

4. عبد الله الراشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص 124
5. محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص38
6. سعد إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص 264
7. عدلي سليمان، الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي، القاهرة 1999، ص8
8. J.Etienne, **dictionnaire de sociologie**, 2eme édition, Hatier, paris,1999,p
9. مالك سليمان محول، علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، ط5، جامعة دمشق، 1997، ص153
10. محمد خالد، التربية الشبابية وأنماط التنشئة، مجلة النبأ، عدد 55، 2001، ص7
11. محمد مصطفى أحمد، التكيف والمشكلات المدرسية الجديدة، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، دت، ص63
12. مراد زعيمي، مرجع سابق، ص ص 147-148
13. حسين عبد الحميد رشوان، التربية والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2005، ص ص 69-76
14. علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ط2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1998، ص 161
15. عبد الله الراشدان، مرجع سبق ذكره، ص¹⁶⁰
16. فؤاد حيدر، علم النفس الاجتماعي، دراسات نظرية وتطبيقية، دار الفكر العربي، بيروت، 1994، ص18
17. محمد خالد، التربية الشبابية وأنماط التنشئة، مجلة النبأ عدد 55، 2001، ص7
18. <http://mostafamagdy2010.yoo7.com/t9-topic>,24/04/2012
19. عبد الكريم غريب، سوسيولوجية المدرسة، منشورات الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص27
20. www.ibtesama.com/vb/showthread-t_156421.html,07/06/2012
21. عبد الكريم غريب، مرجع سبق ذكره، ص15
22. <http://gourida-psy.3oloum.org>,24/04/2012
23. علي أسعد وطفة، المعلمون إزاء التحديات المدرسية المعاصرة، في الموقع الإلكتروني: <http://www.annabaa.org/index.htm>

24. www.ibtesama.com/vb/showthread-t_156421.html,07/06/2012
25. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ط5، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص170
26. رحاب القرني، الوظائف لتجديدية للمدرسة، في الموقع الإلكتروني <http://boughadimtr.wordpress.com>,24/04/2012
27. شهاب يحيى، المقاربات النظرية للعلاقة التربوية، في الموقع الإلكتروني: <http://www.etccsy.com/node/434/print>, 2009/03/26
28. عبد الكريم غريب، سوسيولوجية المدرسة، منشورات الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص15-16
29. The Positive Relationship Between Family Involvement and Student Succes :http://www.pta.org/family_school_partnerships.asp,24/02/2012